الأدلة القرآنية بين السمعية والعقلية عند المفكرين

د/ صبري عبد القادر السيد الكلاف

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

قسم أصول الدين جامعة الأزهر

الأدلة القرآنية بين السمعية والعقلية عند المفكرين

صبري عبد القادر السيد الكلاف

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية قسم أصول الدين جامعة الأزهر– مصر

البريد الإلكتروني : SABRYABDELKADER.2130@azhar.edu.eg

الملخص :

الاعتقاد الخاطئ بأن أدلة القرآن نقلية وسمعية فقط وليست عقلية من أهم الأسباب التي توهم وقوع الخلاف بين الوحي والعقل ووجود تناقض بينهما لكن الحقيقة أن أدلة القرآن مع أنها سمعية نقلية إلا أنها عقلية أيضاً ومنطقية واشتملت على معظم البراهين والأقيسة العقلية التي أنشأها العقليون كما أن أدلة القرآن مناسبة لجميع الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية ومداركهم وثقافاتهم.

بل إن أدلة القرآن فاقت الأدلة العقلية أسلوباً وقبولاً وإقناعاً لأن أدلة العقلانيين من الفلاسفة والمتكلمين تتصف بالتعقيد والجدل الممل والتعليلات الغامضة والجمود الجاف كما أنها لا تعتمد على الواقع بل تعتمد على المثالية والتجريد. ومن أهم خصائص أدلة القرآن أنها وجدانية تؤثر في العاطفة والمشاعر وتعتمد على الواقع المحسوس وتدل على اليقين من أقرب الطرق وتتصف بالسهولة واليسر والبساطة ومتوافقة مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها. ولها دور كبير في التنمية الفكرية للعقول البشرية

وهناك نماذج كثيرة لدور الأدلة القرآنية في التنمية الفكرية للعقل الإنساني منها هدم القرآن للأفكار الباطلة مثل فكرة أن رأي الأكثرية على صواب فبين أن الكثرة أو القلة ليست مقياساً للخطأ أو الصواب وإنما الخطأ والصواب لأي فكرة يرجع إلى الفكرة في حد ذاتها بغض النظر عن القائلين بها أو عددهم

كذلك فكرة التأثر بالآباء والأجداد وتقليدهم تقليداً أعمى دون وعي. وغيرها من الأفكار التي تبين أهمية ودور القرآن في تخليص العقل الإنساني من هذه الأفكار الباطلة. كما اشتمل القرآن على القواعد العقلية حيث أشار إلى أساليب الاستدلال العقلي في كثير من آياته.

الكلمات المفتاحية : الأدلة – القرآنية – السمعية – العقلية – المفكرين

Quranic evidence between the auditory and mental when thinkers

Sabry Abdel Qader Al-Sayed Al-Claf
Lecturer of Faith and Philosophy, College of Islamic and Arabic Studies, Department of Fundamentals of Religion, Al-Azhar University- egypt
Email: SABRYABDELKADER.2130@azhar.edu.eg

Abstract :
The misconception that the Qur'anic evidence, only transference and auditory rather than mental, is one of the most important reasons for delusional disagreement between revelation and reason and the existence of a contradiction between them. However, the truth is that the Qur'anic evidence, however it is auditory, it is also rational and logical. It includes most of the evidence and mental analogy created by the rationalists in addition to the Qur'anic evidence is proper for all people whatever their mental levels perceptions and culture. Rather, the Qur'anic evidence surpasses the rational evidence in style, acceptance, and persuasion because the evidence of rationalists among philosophers and theologians is characterized by complexity, boring controversy, vague explanations and rigidity. It also does not depend on reality, but rather on idealism and abstraction. One of the most important characteristics of the Qur'anic evidence is that it is sentimental which affects emotion and feelings. The Qur'anic evidence depends on the concrete reality, indicates certainty, it is easy and simple, and it is compatible with the instinct. It has a great role in the intellectual development of human minds.

There are many examples of the role of Qur'an evidence in the intellectual development of the human mind, including the Qur'an facing the false ideas such as the idea that the majority's opinion is correct. It also enumerates the idea of being influenced by parents and grandparents and imitates them blindly and other ideas that demonstrates the importance role of Qur'an in ridding the mind of such false ideas. Qur'an includes mental rules as well as it refers to methods of mental reasoning in many verses.

Key words: Evidence - Quranic - Auditory - Mental – Thinkers

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، حمداً لك يا ربنا يا من نطقت بوحدانيتك الكائنات، سبحانك سبحانك جل ثناؤك، وعظم جاهك، ولا إله غيرك. والصلاة والسلام علي إمام المتقين وقائد الغر المحجلين خاتم الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد عليه أزكي الصلاة وأتم التسليم

أما بعد

<u>مشكلة البحث</u>

من التقسيمات المشهورة للأدلة تقسيمها إلى أدلة نقلية وعقلية فهل الأدلة النقلية سمعية فقط؟ بمعني أنها لا تعتمد علي العقل أم أنها سمعية عقلية؟ بمعني أنها اشتملت على البراهين والقواعد والأقيسة العقلية. هذه القضية هي المحور الذي يدور عليه هذا البحث

<u>هدف البحث</u>

هو إثبات أن أدلة القرآن عقلية منطقية بل إنها اشتملت على معظم البراهين والأقيسة العقلية التي أنشأها العقليون حيث أشار القرآن إلى أساليب الاستدلال العقلي في كثير من آياته، بل إن أدلة القرآن فاقت الأدلة العقلية أسلوباً وقبولاً وإقناعاً لأن أدلة المتكلمين والفلاسفة والعقلانيين تتصف بالتعقيد والجمود والجدل الممل والنقاش الجاف والتعليلات الغامضة وتعتمد على المثالية والتجريد.

وذكر نماذج لدور الأدلة القرآنية في التنمية الفكرية للعقل الإنساني حيث هدم القرآن الأفكار الباطلة مثل فكرة أن رأي الأكثرية على صواب وبين أن الكثرة أو القلة ليست مقياسا للخطأ أو الصواب وإنما الخطأ أو الصواب لأي فكرة يرجع إلى الفكرة في حد ذاتها بغض النظر عن القائلين

بها أو عددهم وكذلك فكرة التأثر بالآباء والأجداد وتقليدهم دون وعي ودور القرآن في تخليص العقل الإنساني من هذه الأفكار الباطلة.

أهمية البحث

يظن البعض بأنه قد يتناقض الوحي مع العقل ويقع الخلاف بينهما وذلك اعتماداً على أن الأدلة النقلية سمعية فقط وليست عقلية ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث لحل هذا الإشكال وأنه لا تناقض بين صحيح منقول وصريح معقول. وبيان بعض خصائص أدلة القرآن ومنها أنها وجدانية تؤثر في العاطفة والمشاعر وأنها تعتمد على الواقع المحسوس وأنها تدل على اليقين من أقرب الطرق ومنها السهولة واليسر والبساطة وأنها متوافقة مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها وأهمية دور الأدلة القرآنية في التنمية الفكرية وإيضاح أن أدلة القرآن مناسبة لكل الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية ومداركهم الثقافية

خطة البحث

يشتمل هذا البحث على (مقدمة وستة مطالب وخاتمة وأهم المصادر والمراجع)

أما المقدمة فتتحدث عن مشكلة البحث وهدفه وأهميته

المطلب الأول/ يقرر أن أدلة القرآن عقلية منطقية بل إنها اشتملت على معظم البراهين والأقيسة العقلية التي أنشأها العقليون

المطلب الثاني/ يبين أن أدلة القرآن مناسبة لكل الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية ومداركهم الثقافية

المطلب الثالث / يوضح أن أدلة القرآن فاقت الأدلة العقلية أسلوباً وقبولاً واقناعاً لأن أدلة المتكلمين والفلاسفة والعقلانيين تتصف بالتعقيد والجمود والجدل الممل والنقاش الجاف والتعليلات الغامضة وتعتمد على المثالية والتجريد

المطلب الرابع / يتحدث عن أهم خصائص أدلة القرآن ومنها أنها وجدانية تؤثر في العاطفة والمشاعر وأنها تعتمد على الواقع المحسوس وأنها تدل على اليقين من أقرب الطرق ومنها السهولة واليسر والبساطة وأنها متوافقة مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها ودورها في التنمية الفكرية

المطلب الخامس / يتكلم عن نماذج لدور الأدلة القرآنية في التنمية الفكرية للعقل الإنساني حيث هدم القرآن الأفكار الباطلة مثل فكرة أن رأي الأكثرية على صواب وبين أن الكثرة أو القلة ليست مقياسا للخطأ أو الصواب وإنما الخطأ أو الصواب لأي فكرة يرجع إلى الفكرة في حد ذاتها بغض النظر عن القائلين بها أو عددهم وكذلك فكرة التأثر بالآباء والأجداد وتقليدهم دون وعي ودور القرآن في تخليص العقل الإنساني من هذه الأفكار الباطلة

المطلب السادس / يبرز اشتمال أدلة القرآن على القواعد العقلية حيث أشار القرآن إلى أساليب الاستدلال العقلي في كثير من آياته

الخاتمة / وتشتمل علي أهم نتائج البحث

وأسال الله سبحانه وتعالي التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه

الاعتقاد بأن أدلة القرآن نقلية وسمعية فقط وليست عقلية

إن من أهم الأسباب التي توهم وقوع الخلاف بين الوحي والعقل ووجود تناقض بينهما هو الاعتقاد بأن أدلة القرآن سمعية نقلية فقط وليست عقلية وعلى هذا الأساس قسموا الأدلة إلى عقلية (وهي ما تعتمد على مقدمات عقلية) ونقلية (وهي ما تعتمد على السمع) والحقيقة أن الأدلة تنقسم إلى قطعية وظنية والأدلة العقلية منها ما هو ظني ومنها ما هو قطعي. وكذلك الأدلة النقلية. فالأدلة النقلية (سمعية عقلية)

ومع ذلك نجد من يدعي أن أدلة القرآن ليست عقلية بل أي دليل نقلي أو نصي إنما هو مجرد خبر يفيد الظن ولا يفيد اليقين، وأن الذي يفيد اليقين هي الأدلة العقلية. وهي الأدلة التي لا تستند إلى دليل نقلي.

ومن هؤلاء د/ حسن حنفي حيث يقول (النص ليس حجة عقلية بدهية بل هو خاضع لقواعد التفسير وأصول الفهم ولشروط الإدراك)[1] وهو يقصد بالنص الدليل النقلي سواء كان قرآنا أو سنة ويقرر أنه ليس حجة عقلية. والحجة العقلية في نظره ما دل عليها العقل.

أما زعمه أن هذه الأدلة خاضعة لقواعد التفسير وأصول الفهم فهذا لا يضرها في شيء فالتفسير مجرد شرح وتبسيط وتقريب للأفهام وليس تغييراً في الدليل. فهذه الأدلة سمعية عقلية. سمعية من حيث أن القرآن أخبر بها. وعقلية من حيث دلالة العقل عليها وتعلم صحتها بالعقل فهي ليست خبراً مجرداً.

ودعوى أن أدلة القرآن ليست أدلة عقلية وإنما هي سمعية فقط هي دعوى قديمة ادعاها بعض العقليين من الفلاسفة والمتكلمين لإعلائهم العقل على النقل يقول د/ عبيدات (كان الجهل بمسالك القرآن في الاستدلال على

١ - من العقيدة إلى الثورة / جـ ١(المقدمات النظرية) د/ حسن حنفي/ صـ ٣٩٣ /مكتبة مدبولي/ ١٩٨٨م

مسائل العقيدة سبباً في انصراف الفرق الكلامية إلى صنعة الكلام لظن هؤلاء أن الأدلة القرآنية لا تكون عقلية ومن ثم حصروا الدليل العقلي فيما دل عليه العقل وحده دون استناد إلى السمع) [1]فانصراف المتكلمين إلى علم الكلام كان من أسبابه جهل هؤلاء بأدلة القرآن ولزعمهم أنها غير عقليه وإنما هي سمعية فقط. وهذه هي الدعوى التي يرددها د/ حسن حنفي حيث يقول (الدليل النقلي يقوم على التسليم المسبق بالنص كسلطة. أو لسلطة إلهية لا يمكن مناقشتها أو نقدها أو رفضها فهو دليل إيماني صرف يعتمد على سلطة الوحي وليس على سلطة العقل)[2]

المطلب الأول: أدلة القرآن عقلية منطقية

والحقيقة أن الدليل النقلي يعتمد على الوحي والعقل معاً وليس على الوحي فقط فمثلاً (دليل الآفاق والأنفس الذي توصل إليه الفلاسفة موجود في القرآن ومذكور بأسلوب سهل تستوعبه العقول ودلائل الآفاق والأنفس تتفرع إلى

١-دليل الخلق ٢- دليل التسوية ٣- دليل التقدير ٤- دليل الهداية

وقد جمع الله هذه الأدلة في قوله (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى)[3] وهذه أدله عقلية تدركها العقول بداهة وبأدنى تأمل، مقرة بوحدانية الله وبذلك يربط القرآن بين النظر في آيات الله في الكون الفسيح وبين آيات الله في الأنفس البشرية ليتناغم الإحساس الخارجي بعظمة الله ووحدانيته مع نداء الفطرة الداخلي)[4]

١ – الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير العقيدة الإسلامية د/ عبد الكريم عبيدات / صـ ٨/ دار النفائس / طبعة أولى/ عام ٢٠٠٠م

٢ – من العقيدة إلى الثورة / جـ١ / (المقدمات النظرية) د/ حسن حنفي

٣ – الأعلى (١،٢، ٣)

٤ – الدلالة العقلية في القرآن د/ عبد الكريم عبيدات صـ ٢٦٨

فالنظر في بديع صنع الله في السموات والأرض (وهذا عمل عقلـــي) يعتمد عليه القرآن في إثبات وجود الله ووحدانيته. وهكذا تتوالى الأدلة العقلية القرآنية على مسائل العقيدة معتمدة على العقل في تقريرها فهي أدلة عقليـــة بل هي أفضل الأدلة العقلية والتي فاقت أدلة المتكلمين والفلاسفة (ولا وجـــه للمقارنة بين أدلة القرآن وبين أدلة الفلاسفة والمتكلمين فإن القرآن كتاب الله المعجز الذي تتضاءل العقول البشرية أمام براهينه وتقصر الأفهام عن بلوغ مراميه) [١]

ولو تصفحنا القرآن الكريم لوجدنا أن البراهين والأقيسة العقلية التـــي أنشأها العقليون موجودة فيه. يقول د / عبيدات (فقياس العلة وهـــو القيـــاس الاضماري يمكن أن نأخذه من قول الله سبحانه وتعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)[٢]

وقياس الدلالة وهو قياس التمثيل يمكن أن نأخذه من قوله تعالى (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى أنه على كل شيء قدير) [٣]

وقياس الأولى * يمكن أن يؤخذ من قوله عز وجل (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) [٤]

وقياس الشبه * موجود في قوله (ما نراك إلا بشراً مثلنا) [٥]

---

١ – المصدر السابق صـــ٤٥٧

٢ – آل عمران (٥٩)

٣ – فصلت (٣٩)

* قياس الأولي: هو أن يكون الغائب أولي بالحكم من الشاهد

٤ – الروم (٢٨)

* قياس الشبه: هو الاستدلال بالشيء على مثله

٥ – هود (٢٧)

* السبر والتقسيم: هو إيراد أوصاف الأصل (أي المقيس عليه) وإبطال بعضها ليتعين الباقي للعلية

والسبر والتقسيم * في قوله (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين)[1] ومجاراة الخصم فيما يقول (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض)[2]الاستدلال على الخصم بإظهار التشهي والتحكم (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون)[3]

إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس)[4]

مطالبة الخصم بتصحيح دعواه وإثبات كذبه في مدعاه (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون)[5] [6]

الدليل النقلي هل يفيد اليقين؟

ويدعي الدكتور حنفي أن أدلة القرآن لا تفيد اليقين قائلاً (ومن ثم فالدلائل النقلية كلها لا تفيد اليقين نظراً لاعتمادها على اللغات)[7] والحق أن الدليل النقلي طالما ثبت صحته فهو قطعي يقيني لا يقبل الشك لأن مصدره هو الله سبحانه وتعالى أما كونه يعتمد على اللغة فهذا ليس عيباً ولا ينقص الدليل في شيء. والدليل العقلي عند هؤلاء يعتمد على اللغة أيضاً.

---

١ – الأنعام (١٤٣)
٢ – إبراهيم (١٠)
٣ – البقرة (٨٧)
٤ – الأنعام (٩١)
٥ – البقرة (٨٠)
٦ – انظر الدلالة العقلية في القرآن / د/ عبد الكريم عبيدات / من صـ ٤٦٢ إلى صـ ٤٧٥ باختصار وتصرف
٧ – من العقيدة إلى الثورة / د/ حسن حنفي / جـ ١/ (المقدمات النظرية) صـ ٣٩٣

المطلب الثاني: الأدلة النقلية مناسبة لكل الناس على اختلاف مستوياتهم

ويدعي د / حسن حنفي أن الأدلة النقلية (لا تلزم إلا المؤمن بها سلفاً تلزم المسلمين المؤمنين وحدهم دون المسلمين غير المؤمنين ودون سائر أهل الملل والنحل الذين لا يؤمنون بسلطة الوحي وبالتالي يفقد العلم بهذا الدليل قدرته على الحوار مع الخصوم سواء من الداخل أو من الخارج وهو الذي أتى بالدفاع عن العقيدة ضد منتقديها من أهل الزيغ والبدع والأهواء الضالة في هذه الحالة لا تنفع إلا حجة العقل وحده الذي يشارك فيه الجميع ويسلم ببراهينه وحججه)[١]

ويقول أيضاً إن التواتر (لا ينفع إلا من آمن به ووصل إليه كما أن السمعيات لا تنفع إلا من يثبت السمع عنده)[٢] فالأدلة النقلية (السمعية) في نظره لا تناسب إلا المؤمنين (لتسليمهم وإيمانهم بالوحى) أما المسلمين غير المؤمنين وأهل الملل والنحل وخصوم الإسلام من الداخل والخارج لا يناسبهم الدليل النقلي وإنما الذي يتناسب معهم هو الدليل العقلي الذي يسلم به الجميع.

وقوله إن الأدلة النقلية لا تتناسب مع أهل الملل والنحل وخصوم الإسلام من الداخل والخارج فهذا غير مقبول لأنه يتناقض مع نفسه فكيف يقول إن الدليل النقلي (أتى بالدفاع عن العقيدة ضد منتقديها من أهل الزيغ والبدع والأهواء الضالة) فكيف يدافع بدون أن يستند إلى العقل لأن هؤلاء غير مؤمنين بالوحي.

وقد (قرر الله في كتابه ما يحتاج إليه في مسائل العقيدة كالتوحيد والنبوة والمعاد وغيرها بالبراهين العقلية التي لا ينتهي إلى تحقيقها نظر ولا تجد في كتاب الله من البراهين والأدلة العقلية ما نجده في القرآن الكريم.

---

١ – المصدر السابق صـ ٣٩٢

٢ – نفسه صـ ٣٩٢

وفي المقابل ذكر القرآن مذهب المخالفين وكر عليهم بالحجة ورد على الشبهات بأحسن الردود وألزمها للخصم وسد عليهم أبواب المعارضة وتنزل معهم في افتراضاتهم فلم يملكوا إلا التسليم بالحق أو الإعراض عنه ظلماً وعلواً)[1]

فالأدلة النقلية أدلة عقلية حاورت الخصوم والمخالفين بالحجة والبرهان والمناقشة والمجادلة ودحضت الشبهات التي يتمسكون بها فلم يكن أمامهم إلا التسليم أو الاعراض.

ويغالي د / حنفي حيث يدعي أن الأدلة النقلية لا تناسب إلا عامة الناس. أما المفكرون والعقلاء فلا تناسبهم ولا تؤثر فيهم وفي ذلك يقول (وقد يؤثر الخبر وحده في العامة لأنها لا تقدر على استعمال العقل وتؤثر الخيال ولا تقدر على فعل الحسن لذاته وتجنب القبيح لذاته وحاجتها في ذلك إلى الخبر)[2]

ويزعم أن النقل لا يأتي بجديد وأن ما أتى به فإن العقل قد توصل إليه حيث يقول (ولا يعطي الخبر جديدا مستقلا عن المعارف الحسية والعقلية، ما عرف بالحس أو النظر أو الاستدلال لا نحتاج إلى معرفته بالخبر باستثناء الشعائر)[3] ويقول أيضا (إن التواتر لا يفيد علما)[4]

فهو يقرر أننا لا نحتاج إلى الوحي وأدلته النقلية إلا في العبادات فقط أما ما سواها من معارف فسبيلنا إليه النظر (العقل) أو الحس (التجربة)

والحق أننا لو تدبرنا أدلة القرآن خاصة الأدلة التي تتحدث عن وحدانية الله أو البعث واليوم الآخر لوجدنا أنها أدلة عقلية من الدرجة الأولى لأنها تستند على الحجة والبرهان.

---

١ – الدلالة العقلية في القرآن / د/ عبد الكريم عبيدات / صـ ٢٥٣

٢ – من العقيدة إلى الثورة / جـ١/ (المقدمات النظرية) د/ حسن حنفي / صـ ٣٩١

٣ – المصدر السابق/ صـ ٣٩١

٤ – نفسه صـ ٣٩١

والحقيقة أن الوحي جاء يخاطب العقل. لذا فقد جاء بأدلة مناسبة فبالرغم من أنها أدلة سمعية نقلية إلا أنها في نفس الوقت أدلة عقلية توقظ الفطرة الإنسانية من سباتها وتزيل العقبات التي تعترض طريق العقل من عادات وتقاليد وأوهام.

وأدلة القرآن (تجمع بين العمق والوضوح والدقة. اقرأ قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون)[١] وانظر كيف يكون الاستدلال والتهويل والاستعظام في هذه الكلمات القليلة بل الدليل نفسه جامع بين عمق المقدمات اليقينية ووضوح المقدمات المسلمة ودقة التصوير لما يعقب التنازع من الفساد الرهيب وهو برهان خطابي وشعري معاً وهذا ما لا تجده في كتب الحكمة النظرية)[٢]

فأدلة القرآن عميقة وواضحة ودقيقة تخاطب العقل والوجدان معاً ومع ذلك تقدم حقائق يقينية. يقول د / عبيدات (أدلة القرآن العقلية على مسائل العقيدة لها من الخصائص ما لا يوجد في أدلة سواها فهي يقينية قاطعة للشكوك والشبه ملزمة للمعاندين والجاحدين بسيطة واضحة بعيده عن التعمق مناسبة لجميع العقول على اختلاف مستوياتها تدل على المعنى بأبلغ عبارة وأوجزها وأنها جمعت بين إقناع العقول والتأثير في القلوب فاقترن اليقين بالإيمان بحب التعظيم والخشوع والخوف والرجاء)[٣]

١ – الأنبياء ٢٢

٢ – النبأ العظيم / د/ محمد عبد الله دراز / صـ ١١٦/ دار القلم / ط ثانية / ١٣٩٠هـ

٣ – الدلالة العقلية في القرآن / د/ عبد الكريم عبيدات / صـ ٥١٠

المطلب الثالث: أدلة القرآن فاقت الأدلة العقلية إقناعاً وقبولاً وأسلوباً

فأدلة القرآن تفوق الأدلة العقلية الأخرى بأنها بسيطة وواضحة ومناسبة لجميع العقول ووجيزة في ألفاظها. يقول الإمام الغزالي (أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل القوي وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها الأخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلاً)[1]

ويقول د / محمود قاسم عن المتكلمين (كان جدير بهم أن يكتفوا بأدلة القرآن لأنها تصلح للناس جميعاً ولأهل الجدل أيضاً ذلك أن القرآن يتجه إلى جميع المستويات العقلية)[2]

ويؤكد ذلك د / مزروعة قائلاً (منهج القرآن قد جاء يخاطب العقول كلها والناس على اختلاف مستوياتهم الذهنية والثقافية ذلك أن القرآن الكريم أنزل إلى الناس كافة وإلى الخلق أجمعين فلم يخاطب طائفة من الناس دون طائفة ولم يعن بفريق على حساب فريق وإنما عنى بالجميع. فبث الأدلة على وجود الله في ثنايا آياته وبصورة تناسب جميع المستويات وبذلك كانت الأدلة على وجود الله في متناول الجميع من كتاب الله)[3]

ويقول أيضاً (القرآن الكريم كتاب إلهي نزل يخاطب الناس على اختلاف الأشكال والألوان وعلى امتداد الزمان والمكان، ومن هنا فلقد خالف القرآن بين الأدلة التي نصبها لإثبات وجود الله تعالى ومعرفته والوصول

---

١ – إلجام العوام عن علم الكلام / الإمام أبو حامد الغزالي/ دار الفكر اللبناني / بيروت/ طبعة أولى/١٩٩٣م

٢ – الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة / لابن رشد / تحقيق د/ محمود قاسم / مكتبة الأنجلو المصرية / مصر/ عام ١٩٥٥م

٣ – أضواء على المنهج النقدي لابن رشد/ د/ محمود مزروعة / صـ ٢٠٦/ دار الطباعة المحمدية / مصر/ طبعة أولى/١٩٧٨م

إليه فجعل القرآن هذه الأدلة درجات وأقامها طبقات ووضعها في قالب تتقبله العقول على اختلافها وتستسيغه الأفهام على تباين درجاتها

فمن هذه الأدلة ما هو موجه إلى العقول الساذجة والأفهام الكليلة ومنها ما هو موجه إلى العقول المتوسطة الفهم والإدراك ومنها ما هو موجه إلى الخاصة من ذوي العقول الذكية والإدراكات القوية ومنها الأدلة الحسية ومنها الأدلة التي تحتوي على الحس والعقل متعاونين ومنها الأدلة العقلية التي لا دخل فيها للحس)[١]

فالأدلة القرآنية متنوعة حسب العقول حتى تناسب الجميع وتتوافق مع فطرتهم. كما أنها برهانية بديهية، لذا فلا يمكن معارضتها بدليل برهاني قاطع يقول د / خفاجي (أدلة القرآن تمتاز بوضوحها وبداهتها في نفسها فهي أدلة عقليه برهانية لا يمكن معارضتها بدليل عقلي برهاني قاطع وهي أكثر ملائمة للنفوس ولجميع الناس عامتهم وخاصتهم)[٢]

وهي مع ذلك مؤثرة، وبعيدة عن الجدل الممل الجاف والتعليلات الغامضة فهي (سهلة الفهم تدل على المطلوب من أقصر الطرق قوية ومفحمة لا ترد عليها المعارضة ولذلك كانت أقرب إلى القلوب والنفوس وأعظم في التأثير والاقناع لم تدخل في متاهات جافة وتعليلات غامضة وجدليات كلامية مملة، مثيرة لكل إنسان لأنها تعتمد في براهنيها على ما في الكون من حولنا)[٣]

من أجل هذه المزايا والخصائص لأدلة القرآن فإنها فاقت الأدلة العقلية للفلاسفة والمتكلمين وكانت أكثر إقناعا وقبولاً منها لأن أدلة المتكلمين معقدة لطولها وتفريعاتها وتشعباتها الكثيرة فهي (تدل على المطلوب دلالة ناقصة

---

١ – المصدر السابق صـ ٢٠٢

٢ – في العقيدة الاسلامية بين الفلاسفة والمعتزلة د/ محمود خفاجي/ جـ ١ / صـ ٥٥/ الأمانة / طبعة أولى ١٩٧٩م

٣ -الدلالة العقلية في القرآن د/عبيدات صـ ٥٠٤

وتحتاج مقدماتها إلى برهنة واستدلال في الغالب بل قد تحتاج النتائج نفسها إلى دليل آخر خارج عنها مما يعقد الاستدلال لطول مقدماته وكثرة وسائطه وصعوبة طرقة على أكثر الناس ولذلك لم تثمر اعتقاداً صحيحاً ولا يقيناً صادقاً وإنما أثمرت الحيرة والشك والندم)[1]

ومما تميزت به أدلة القرآن عن غيرها مراعاة طبيعة البشر وحدودها وقدرتها على الإدراك والفهم فلم يخاطبها بما تعجز عن إدراكه ومعرفته وإنما خاطبها بما تستطيع معرفته وإدراكه (لم يجعل الوحي تعريفه بالأشياء قائما على منهج البحث في الماهيات وتحليل كنهها لأنها مما يعز على الإدراك البشري الوصول إليه خصوصاً وإنه في ميدان العلم الغيبي بل نهج في ذلك تقرير وجودها والتدليل عليها بآثارها ومظاهرها)[2]

فماهيات وحقائق الأشياء لا يستطيع العقل البشري إدراكها مثل حقيقة النفس والعقل والروح وغيرها والبحث في حقيقتها لا يؤدي إلى نتيجة بل هو تضيع للوقت وتبديد للجهد فأدلة القرآن تراعي ذلك كله فقد دللت على وجود هذه الأشياء بآثارها. ومما امتاز به الوحي أيضاً عن الفلسفة وعلم الكلام أنه يخاطب الإنسان في أمور المسائل الغيبية بما يفيده في دينه ودنياه

يقول د / الزنيدى (اتجه الوحي في ذكر ما جاء به من قضايا ميتافيزيقية إلى الجانب العلمي في علاقة الإنسان بها دون الانقطاع إلى المسائل النظرية البحتة التي لا يفيد الإنسان من معرفتها في دينه ودنياه شيئاً)[3]

والقائلون بتعارض العقل مع الوحي غابت عنهم هذه الحقيقة المهمة وهي أن أدلة القرآن عقلية بل فاقت الأدلة العقلية فكيف تتعارض مع العقل

---

١ – المصدر السابق / صـ٥٠٤

٢ – مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي/ د عبد الرحمن الزنيدي/ صـ ٢٠٦/ مكتبة المؤيد/ السعودية / طبعة أولى /١٩٩٢

٣ – المصدر السابق صـ ٢٠٦

مع أنها نزلت لتخاطب العقل. يقول الإمام تيمية:(إن السمعيات مملوءة من إثبات الصانع وقدرته وتصديق رسوله، ليس فيها ما يناقض هذه الأصـــول العقلية التي بها يعلم السمع بل الذي في السمع يوافق هذه الأصول بل السمع فيه من بيان الأدلة العقلية على إثبات الصانع ودلائل ربوبيته وقدرته وبيان آيات الرسول ودلائل صدقه أضعاف ما يوجد في كلام النظار)[١]

فالقرآن دلل على مسائل العقيدة بأدلة عقلية سهلة تناسب كل العقـــول مع أنها عميقة في بنائها يأخذ منها العلماء المتخصصون والعوام كل علـــى حسب فهمه وإدراكه، ولقد حث القرآن على استخدام العقل وجعـــل قبـــول الوحي أو رفضه متوقفاً على العقل.

(فهذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان في أصـــول ديـــنهم وكلما خاطب العقل وكلما حاكم حاكم إلى العقل تنطق نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة وأن الشقاء والضلالة من لواحق الغفلـــة إهمـــال العقل وانطفاء نور البصيرة فالعقل مشرق الإيمان ومن تحول عنه فقد دابر الإيمان)[٢] فأمر الإسلام العقل أن يأخذ بالبرهان في أصول الدين لأن الإيمان لا يدخل القلب إلا عن طريق العقل ولا يستطيع الإنسان أن يصل إلى الحق واليقين إلا عن طريقه يقول الإمام محمد عبده عن علاقة القرآن بالعقل.

(وقص علينا من صفات الله ما أذن الله لنا أو ما أوجب علينا أن نعلم ولكن لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته ولكنه أقام الدعوى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين وكر عليهم بالحجة وخاطب العقل واستنهض الفكر

١ – درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول للإمام ابن تيمية / تحقيق د/ محمد رشاد سالم / جـــ ١ / صـــ ٩٣/ دار الكنوز الأدبية /١٩٧٩م

٢ – الأعمال الكاملة / جمال الدين الأفغاني تحقيق د/ محمد عمارة / صـــ١٧٧/ ط أولى/ القاهرة/١٩٦٨/ وانظر مجلة منبر الاسلام / صـــ٨٤ السنة٥٩ العدد ١٢مارس ٢٠٠١م

وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام والإتقان على أنظـــار العقـــول وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه)[1]

فلم يقدم الوحي قضاياه عارية عن الاستدلال بل أنه أيدها بـــالبراهين العقلية ورد على المخالفين له بالعقل والمنطق والحجج القاطعة وذلـــك لأن القرآن يخاطب الإنسان بما يتفق مع طبيعته العقلية وهي أنه عاقل ومفكـــر. (دعا القرآن الكريم إلى التعقل والتفكر والتدبر مسايراً بذلك طبيعة الإنســـان فالأصل فيه أنه عاقل ومفكر ولذا فإن الله سبحانه وتعالى حينما يخاطبه عن طريق وحيه إنما يخاطبه بما يتسق وطبيعته البشرية ومن غير المعقـــول أن يطلب المولى من الناس إلغاء النعمة الكبرى التي أعطاهم إياها وهي نعمـــة العقل)[2]

المطلب الرابع: خصائص أدلة القرآن ودورها في التنمية الفكرية

ومما تمتاز به أدلة القرآن عن غيرها من أدلة المتكلمين والفلاسفة أنها تخاطب الإنسان بكل نواحيه العقلية والوجدانية عكس الأدلة الأخرى فهـــي جافة وجامدة. يقول د / مزروعة عن أدلة القرآن

(أدلة عقلية في المستوى الأسمى من حيث الدقة والإصابة ولكنها لـــم تأت في تلك الصورة الجامدة التي تأنفها الفطرة وينفر منها الطبـــع وإنمـــا سيقت هذه الأدلة في جو وجداني يأسر القلـــب ويســـتأثر الوجـــدان ويهـــز المشاعر ويستثير العاطفة والأحاسيس فهي إذن أدلة تخاطب الإنسان بكـــل نواحيه، تخاطب العقل بلغته والوجدان بلغته)[3]

---

١ – رسالة التوحيد / الشيخ محمد عبده / صـــ٧/ تعليق الشيخ محمد رشيد رضا / دار المنار / مصر / طبعة ١٩٦٦/١٢م

٢ – العقيدة الاسلامية في ضوء العلم الحديث / د/ سعد الدين صالح / صـــ٥٢/ دار الصفا مصر/ طبعة ثانية /١٩٩٢م

٣ – أضواء على المنهج النقدي لابن رشد / د / محمود مزروعة / صـــ ٢١٢

فأدلة القرآن مع أنها عقليه إلا أنها في نفس الوقت وجدانية تؤثر في العاطفة والمشاعر وهذا ما جعل بعض الفلاسفة يظنون أنه كتاب عاطفة شعرية وليس كتاب أدلة عقلية والحقيقة غير ذلك تماماً فهو قد اشتمل على أدق وأسمى العقليات

يقول الإمام ابن تيمية (الأنبياء صلوات الله عليهم كملوا للناس الأمرين فدلوهم على الأدلة العقلية التي بها تعلم المطالب الإلهية التي يمكنهم علمهم بها بالنظر والاستدلال وأخبروهم مع ذلك من تفاصيل الغيب بما يعجزون عن معرفته بمجرد نظرهم واستدلالاتهم وليس تعليم الأنبياء صلوات الله عليهم مقصوراً على مجرد الخبر كما يظن كثير من النظار

بل هم بينوا من البراهين العقلية التي بها تعلم العلوم الإلهية ما لا يوجد عند هؤلاء البتة فتعليمهم – صلوات الله عليهم –جامع للأدلة العقلية والسمعية جميعاً بخلاف الذين خالفوهم، فإن تعليمهم غير مفيد للأدلة العقلية والسمعية مع ما في نفوسهم من الكبر الذي ما هم ببالغيه)[١]

فالأنبياء أخبروا الناس بالبراهين العقلية على العلوم الإلهية وكذلك أخبروهم بما تعجز العقول أن تصل إليه من تفاصيل عالم الغيب فأدلة القرآن سمعية لأن الرسول أخبر بها وهي عقلية لأن صحتها تعرف بالعقل وأنها اشتملت على البراهين العقلية.

(والقرآن قد ضرب الله للناس فيه من كل مثل وهي المقاييس العقلية المفيدة للمطالب الدينية لكن القرآن بين الحق في الحكم والتدليل فماذا بعد الحق إلا الضلال وما كان من المقدمات معلومة ضرورية متفقاً عليها استدل بها ولم يحتج إلى الاستدلال عليها، والطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف

١ – الرد على المنطقيين / للإمام ابن تيمية / صـ٣٢٣/ مطبعة معارف لاهور / باكستان طبعة ثانية /١٩٧٩م

،وهي طريقة القرآن بخلاف ما يدعيه الجهال الذين يظنون أن القرآن ليس فيه طريقة برهانية)[1]

ومن مزايا أدلة القرآن حذف المقدمة إذا كانت معلومة ضرورية من المسلمات وعلينا أن نأخذ من أدلة القرآن العقلية لأنها أرقى من أدلة المتكلمين والفلاسفة ويقول الإمام الشاطبي (كل دليل شرعي ثبت في الكتاب مطلقاً غير مقيد ولم يجعل له قانون ولا ضابط مخصوص فهو راجع إلى معنى معقول وكل إلى نظر المكلف وهذا القسم أكثر ما تجده في الأمور العادية التي هي معقولة المعنى)[2]

وأدلة القرآن العقلية ليست أدلة مجردة وإنما تعتمد أساساً على الواقع المحسوس الذي يحيط بالإنسان ثم ترتقي به إلى عالم الغيب عكس الأدلة الأخرى التي تعتمد على المثالية والتجريد وليس لها أي علاقة بالواقع. وفي هذا تأكيد على أهمية دور أدلة القرآن في تنمية الفكر الإنساني

(والأمثال المضروبة في القرآن تعتبر أقيسة عقلية واقعية برهانية يقينية لأنها تستند في إفادتها اليقين على الوقائع المحسوسة التي جربها السابقون أفراداً كانوا أو جماعات سواء في ذلك قياس الشمول أو قياس التمثيل)[3]

فضلاً عن أن أدلة القرآن برهانية يقينية تدل على اليقين من أقرب طريق وعلى سبيل المثال قول الله عز وجل (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)[4] يقول د / سعد الدين صالح (لو حللنا هذه الآية لاستخرجنا ما

١ – مهذب شرح العقيدة الطحاوية / لابن أبي العز الدمشقي / صـ٣٦ دار ابن رجب / طبعة أولى /١٤١٣هـ

٢ – الموافقات في أصول الشريعة / الإمام الشاطبي / جـ٣/ صـ ٤٦/ دار المعرفة / بيروت / بدون تاريخ

٣ – منهج السلف بين العقل والتقليد / د/ محمد السيد الجليند/ صـ ٨٤/ مكتبة العمرانية مصر/١٩٩٤م

٤ – الطور/ ٣٥

فيها من أقيسة عقلية فالمخاطبون مخلوقون لا شك في ذلك وهذه قضية بدهية أضمرها القرآن الكريم لبداهتها وكل مخلوق لا بد له من خالق وهذا الخالق إما أن يكون هو العدم وهو محال بداهة وإما أن يكون هو نفس المخلوق وإما أن يكون غيره فكونهم خلقوا من غير شيء محال وكونهم خلقوا أنفسهم محال أيضاً فلم يبق إلا أنهم مخلوقون لله)[١]

فهذا مثال لدليل عقلي في غاية الدقة حيث تضمر فيه المقدمات البدهية ويفسح للعقل المجال للتفكير في كيفية الخلق حتى يصل بنفسه إلى النتيجة فيكون ذلك أدعى إلى الإقناع فضلاً عما في الدليل من سهولة ويسر. وكذلك الأدلة على وجود الله عز وجل في القرآن هي أدلة شرعية عقلية بما فيها دليل العناية والاختراع فهي أدلة عقلية برهانية يقينية

يقول د / محمود قاسم عن دليل الاختراع (إن هذا الدليل العقلي هو دليل الشرع نفسه وهو مؤكد لحكمته تعالى فقد ورد في القرآن كثير من الآيات التي تدعوا إلى الإيمان بوجود الله عن طريق معرفة مخلوقاته فمن ذلك قوله (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له)[٢] وقوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق . خلق ماء دافق) [٣] فهاتان الآيتان تبينان لنا أن ظهور الحياة في حد ذاته دليل كافٍ لإقناع الخاصة والعامة بوجود الله تعالى)[٤]

فيركز هذا الدليل على معرفة الخلق وكيفيته وبداية ظهور الحياة للوصول إلى خالق الخلق ومبدع الحياة، وكذلك أدلة القرآن على أدلة البعث تخاطب العقول بالمنطق والبرهان حتى تقتنع وتؤمن به

١ – العقيدة الاسلامية في ضوء العلم الحديث/ د/ سعد الدين صالح / ص٦١

٢ – الحج /٧٣

٣ – الطارق (٤–٥)

٤ – مقدمة الكشف عن مناهج الأدلة / لابن رشد / تحقيق د/ محمود قاسم / صـ٢٧

يقول د/ سعد الدين صالح (في قضية البعث يخاطب العقول بأساليب منطقية راقية ويدعوها إلى المقارنة بين حال البدء من العدم وحال الإعادة من حيث الصعوبة والسهولة ثم بقياس هذه على تلك لكي يصل العقل في النهاية إلى إمكان البعث في المرة الثانية قياساً على إمكانه في المرة الأولى (كما بدأكم تعودون)[1] و (كما بدأنا أول خلق نعيده)[2]

وهكذا قاس الإعادة على الابتداء، وأحياناً يقيس الإعادة على خلق السموات والأرض فيما يسمى في مجال المنطق الإسلامي بقياس الأولى (أوليس الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم)[3] [4]

ورفض القرآن أن يقبل العقل أي دعوى دون دليل أو أن يعتمد في استدلاله على الظن والأوهام (يخطئ خطأ فاحشاً من يظن أن الإيمان بالسمعيات ومنها المعاد، يقوم على تفويض خالي من التعقل وتسليم غافل من الفهم والإدراك فقد بان لنا أن الإسلام يرفض كل ما لا يقوم على الفهم السليم والإدراك الواعي)[5]

وذلك لأن القرآن دعا العقل إلى التفكير والتدبر فكيف يدعوه لشيء ويغفل عنه ففي القضايا التي عرضها لا يرضى للعقل أن يكتف بالتسليم دون فهم أو تفكير وإنما قدم الأدلة العقلية والبراهين القطعية على قضاياه يقول د / الزنيدي (قدم الوحي دلائل عقلية على ما جاء به من مسائل بأسلوب محكم وبرهنة قاطعة مرتكزاً إلى المبادئ الفطرية في الإنسان دون ما أضيف إليها مما يشكل عائقاً في وجه الوصول إلى الحق وهو ما لا تتحاشاه الفلسفة في مناهج بحثها)[6]

---

١ – الأعراف/ ٢٩
٢ – الأنبياء/ ١٠٤
٣ – يس/ ٨١
٤ – العقيدة الاسلامية في ضوء العلم الحديث / د/ سعد الدين صالح / صـ٦٢
٥ – أضواء على المنهج النقدي لابن رشد / د/ مزروعة / صـ ٨٨
٦ – مصادر المعرفة / د/ الزنيدي/ صـ٢٠٩

وأدلة القرآن العقلية على أعلى مستوى من الدقة في تركيبها وصحتها وهدفها، لذا فإنها تؤثر في العقول والوجدان مما يجعلها سريعة القبول لأنها متوافقة مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها (إن حجج القرآن وبراهينه قامت على أسس متينة من الجودة والإحكام سواء كان ذلك في نظامها وتركيبها أم في صحة مقدماتها ونتائجها أم في بعد مراميها في هداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور)[١]

ومن خصائص أدلة القرآن أنها مقنعة ومن تدبرها فليس أمامه إلا التسليم والتصديق بها إذ كان سوى الفطرة يقول ابن رشد (إن الأقاويل الشرعية المصرح بها في الكتاب العزيز للجميع لها ثلاث خواص دلت على الإعجاز. إحداها أنه لا يوجد أتم إقناعاً وتصديقاً للجميع منها والثانية أنها تقبل النصرة بطبعها إلى أن تنتهي إلى حد لا يقف على التأويل فيها إن كان مما فيه تأويل إلا أهل البرهان. والثالثة أنها تتضمن التنبيه لأهل الحق على التأويل الحق)[٢]

ولعل سائلا يسأل إذا كانت أدلة القرآن مقنعة فلماذا لم يقتنع بها الكافرون؟ والحقيقة أنهم اقتنعوا ولكنها المكابرة والعناد كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا)(إن الفطرة لا محيص لها أمام تلك الأدلة إلا الإقرار ومعرفة الحق وأن الجحود الذي تتسم به بعض مواقف الكافرين أمام هذا الحق لا يعدو أن يكون عناداً أو مكابرة لا جهلاً) [٣]فليس العيب في الأدلة وإنما العيب في العقول الخاطئة المتحجرة والعناد والاستكبار

١ – العقيدة الاسلامية / د / سعد الدين صالح / صـ٦١

٢ – فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال / لابن رشد / تحقيق د/ محمد عمارة صـ ٦٦ دار المعارف / مصر / طبعة ثانية / ١٩٨٣م

٣ – مصادر المعرفة / الزنيدي / صـ ٤٠١

المطلب الخامس: نماذج من دور الأدلة القرآنية في التنمية الفكرية للعقل الإنساني

(أدلة القرآن والأفكار الباطلة)

ومن خصائص الأدلة القرآنية هدم الأفكار الباطلة ومنها فكرة أن رأي الأكثرية على صواب ، والحق أن الكثرة أو القلة ليست مقياساً للخطأ أو الصواب وإنما الخطأ أو الصواب لأي فكرة يرجع إلى الفكرة في حد ذاتها بغض النظر عن القائلين بها أو عددهم فنحن نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال (رسخ في أذهان الناس أن الأكثرية لا تخطئ وقد سيطرت هذه الفكرة تماما على العقول قبل الاسلام فلما جاء القرآن الكريم نبه العقول إلى خطأ هذا الوهم فالكثرة أو القلة ليست مقياساً لليقين وليست معياراً للخطأ أو الصواب وقد أشار القرآن إشارة لطيفة إلى هدم هذه الفكرة بقوله (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) [1]

وعلى هذا فلا يصح من الإنسان أن يقبل فكرة لمجرد أن الأغلبية تؤمن بها بل عليه أن يفكر فيما يعتقد من الأفكار حتى ولو طبقت الأقطار وعمت أهل الأرض)[2] وهذا يدل على أهمية دور أدلة القرآن في تطوير وتنمية الفكر البشري

وكذلك يهدم القرآن معتقدات العقول الباطلة كالتأثر بالآباء والأجداد وتقليدهم دون وعي أو إعمال فكر والتعصب لما كانوا عليه ولو كان باطلاً والتمسك به والإعراض عن غيره حتى ولو كان حقا فهو اتباع أعمى وفي ذلك يقول الله عز وجل (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)

---

١ – الأنعام /١١٤

٢ -العقيدة الاسلامية / د/ سعد الدين صالح / صـ ٥٤

وقال تعالى (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون. وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون. قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسل به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين)[١]

فاتباع الآباء دون وعي واتخاذ ما كانوا عليه أمورا بدهية أخطاء باطلة وأوهام زائفة وخيال وظنون تهوى بالعقل في ضلال مبين وكذلك العادات والتقاليد الباطلة التي يتوارثها الناس على أنها حقائق وهي في الحقيقة ليس لها أي أساس من الصحة.

(إن القرآن قد وضع للمنهج العقلي جانبين جانب الهدم وجانب البناء أما جانب الهدم فيتلخص في تفريغ العقل من كل المقررات السابقة التي لم تقم على اليقين أو التي قامت على مجرد التقليد أو الظن، وأما جانب البناء فيوضح فيه القرآن الأصول والقواعد التي تضمن للعقل الوصول إلى نتائج سليمة وتمكنه من تمحيص كل ما يرد عليه من فروض أو قضايا)[٢]

فتخليص العقل من معلوماته الخاطئة التي لم تقم على دليل يمثل جانب الهدم ووضع القواعد التي تضمن للعقل أن يصل إلى الحقائق والتحقق من صدق المعلومات يمثل جانب البناء فالوحي يضع للعقل منهجي الهدم والبناء. وهذا هو دور الأدلة القرآنية في التنمية الفكرية للعقل الإنساني

١ – الزخرف(٢٣-٢٤-٢٥)

٢ – العقيدة الاسلامية / د/ سعد الدين صالح / صـ ٥٤

المطلب السادس: أدلة القرآن اشتملت على القواعد العقلية

كما أن القرآن قد اشتمل على قواعد المنطق بمعناه العام وكان في استدلاله يستخدم الأدلة العقلية المنطقية ولكن في سهولة ويسر وليس في تعقيد وتكلف وهذا ما يميز القرآن عن أدلة المتكلمين والفلاسفة لذا كانت أدلة القرآن أحظى بالقبول ومناسبة لجميع العقول على اختلاف مداركها وفهمها. (اتسمت براهين القرآن بالبساطة والوضوح بحيث يسمعها العامة والذين لا يعرفون قواعد المنطق فيقتنعون بها ويسمعها الخاصة من أصحاب العقول المنطقية فيدركون ما فيها من أصول المنطق العقلي)[1]

كما جاءت أدلة الوحي متناسقة عكس أدلة معارضيه المتناقضة وهو بهذا يلفت الأنظار إلى استخدام الفكر السليم والبراهين المتناسقة في الاستدلال توجيها وإرشاداً وتنمية لهذا الفكر (وما دام القرآن قد نفى عن نفسه التناقض ووصف نفسه بالتناسب والتناسق والتصادق وفي نفس الوقت وصف كلام الكافرين الباطل بالتناقض فإنه يوجه الأنظار إلى أصول التفكير المنطقي وقواعده وأساسها قانون عدم التناقض الذي قام عليه المنطق العقلي)[2]

ولقد أشار القرآن إلى أساليب الاستدلال العقلي في كثير من آياته وعلى سبيل المثال قول الله عز وجل (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزء ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم)[3] فهذه الآية اشتملت على منهج التحليل والتركيب المنطقي الذي قال به ديكارت

---

١ – المصدر السابق صـ ٦٠

٢ – نفسه صـ ٦٠

٣ – البقرة /٢٦٠

يقول د / سعد الدين صالح عن هذه الآية (تشرح بدقة ما قاله ديكارت في منهج التحليل والتركيب الذي يقوم على أربعة قواعد قاعدة اليقين وقاعدة التحليل وقاعدة التركيب وقاعدة المراجعة والمقارنة وفي هذه الآية نجد سبقاً قرآنياً لهذا المنهج.

الخطوة الأولى: هي الشك والقلق من أجل الوصول إلى اليقين حيث يريد إبراهيم أن يصل إلى يقين ثابت لكي يطمئن قلبه فقال (رب أرنى كيف تحي الموتى) يريد أن يعاين الحق بنفسه ويصل إليه وصولاً يقينياً لا شك فيه ولا تردد حتى لا يكون اليقين قائماً على مجرد التسليم.

الخطوة الثانية: هي التحليل والتجزئة حيث أمره أن يأخذ أربعة من الطير ثم يجزئها على كل جبل منهن جزءاً.

الخطوة الثالثة: هي التركيب ثم ادعهن يأتينك سعيا. الخطوة الرابعة: هي المراجعة والمقارنة " واعلم أن الله عزيز حكيم

أي تأكد بنفسك وراجع ما سبق لكي تثق مما أردت الاطمئنان إليه. ولا ندعي التطابق الكامل بين منهج ديكارت وبين المنهج القرآني وإنما يكفينا أن القرآن يشير من بعيد إلى أساليب الاستدلال العقلي)[١]

ومن تدبر آيات القرآن وتمعن في أساليبه وجد أن أدلته قد اشتملت على الأشكال المنطقية بصورة دقيقة وميسرة وليست بصورة متكلفة أو معقدة لذا فهي تصلح لجميع العقول على اختلاف مداركهم.

(إن جميع الأشكال القياسية المنطقية التي اهتدى إليها أرسطو وتلاميذه بعد كثير من الجهد والبحث خلال أجيال متتابعة توجد مطبقة على أفضل وجه وأيسره في القرآن الكريم وهذا مظهر من مظاهر إعجازه العديدة ة وتمتاز الأدلة العقلية التي ينطوي عليها القرآن بأنها بعيدة عن طابع التكلف

١ – العقيدة الاسلامية د/ سعد الدين صالح / صـ ٦٢

والتعقيد الذي يعرفه دارسو منطق أرسطو وهذا هو السبب في أنها تصلح للعامة والخاصة) [1]

كما أن أدلة القرآن تعتمد على الفطرة والأمور الأولية والوقائع المحسوسة خلاف الأدلة المنطقية التي تتسم بطول مقدماتها واعتمادها على التجريد أكثر من الواقع. (أدلة الوحي فطرية مباشرة خلافاً لأدلة المنطق التي تقوم على الأقيسة ذات المقدمات الطويلة من جانب والتجريدية من جانب آخر إذ تعتمد الأدلة القرآنية على الأعيان المشخصة في عملية الاستدلال دون اللجوء إلى المعاني التجريدية

فعلى الإلهية استدل القرآن بخلق السموات والأرض وما بينهما وبما فيهما من عناية وتدبر واقعي يشهده كل مخلوق إن القوة الإقناعية في أدلة القرآن أقوى وأعظم منها في أدلة المناطقة من حيث إلجاؤها المباشر إلى الفطرة الإنسانية وإلى العالم المشاهد مما لا يبقى معه مجال أمام المسوق لأجله الدليل إلا التسليم أو الانقطاع والانسحاب انظر شاهد هذا في قصة إبراهيم مع نمرود)[2]

هذا غير ما تمتاز به أدلة القرآن من قوة إقناعية أقوى وأعظم من أدلة المناطقة لاعتمادها على الفطرة والواقع وكذلك أرشد القرآن إلى تعدد الطرق المؤدية إلى الحق بينما اقتصر المناطقة على القياس البرهاني فقط طريقاً للوصول إلى اليقين

يقول د/ الزنيدي (المنطق الأرسطي قد حصر الأدلة التي تؤدي إلى العلم في القياس البرهاني وهذا في الأغلب عام لكل صاحب منهج ينكر ما عداه أو على الأقل يقلل من قيمة المعرفة الناتجة عنه خلافاً للمنهج القرآني

١- مذهب الغزالي في العقل والتقليد / د/ محمود قاسم / صـ ٩/ جامعة أم درمان الإسلامية محاضرة ألقيت بنادي الخريجين بالخرطوم في مساء السبت ٢ ذو القعدة ١٣٨٦هـ محاضرات الموسم الثقافي في العام الجامعي ١٩٦٦-١٩٦٧م / مطبعة مخيمر

٢ - مصادر المعرفة / الزنيدي صـ ٤٠٠

الذي أرشد إلى كثير من الطرق المؤدية إلى الحق التي قد يتناسب بعضها مع بعض الناس وبعضها الآخر مع الآخرين وهذا من سعة رحمة الله بعباده)[١]

وحتى القياس البرهاني وهو أرقى دليل عند المناطقة لم يسلم من النقض والطعن فيه نظراً لأنه مرتبط بفلسفة أرسطو (وهو قياس منطقي مرتبط بفلسفة أرسطو الميتافيزيقية هو معتمد على الحد، والحد مركب من الجنس والفصل فلابد للقائل به من الاعتراف بفلسفة أرسطو في الوجود وإلا كان قائماً على غير أساس. كما انتقد بأن الاستدلال فيه ينطلق من المقدمة الكلية والكلي لا يدل إلا على كلي مشترك لا على معين وقضايا العقيدة في الإسلام معينة)[٢]

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على فشل المناهج التي اصطنعها العقل البشري في الوصول إلى الحقيقة.

١ – المصدر السابق صـ ٤٠٢

٢ – نفسه صـ ٣٨

خاتمة بأهم نتائج البحث

١- الاعتقاد بأن أدلة القرآن نقلية وسمعية فقط وليست عقلية من أهم الأسباب التي توهم وقوع الخلاف بين الوحي والعقل ووجود تناقض بينهما.

٢- أدلة القرآن مع أنها سمعية نقلية إلا أنها عقلية أيضاً ومنطقية واشتملت على معظم البراهين والأقيسة العقلية التي أنشأها العقليون .

٣- أدلة القرآن مناسبة لجميع الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية ومداركهم وثقافاتهم .

٤- أدلة القرآن فاقت الأدلة العقلية أسلوباً وقبولاً وإقناعاً لأن أدلة العقلانيين من الفلاسفة والمتكلمين تتصف بالتعقيد والجدل الممل والتعليلات الغامضة والجمود الجاف كما أنها لا تعتمد على الواقع بل تعتمد على المثالية والتجريد.

٥- من أهم خصائص أدلة القرآن أنها وجدانية تؤثر في العاطفة والمشاعر وتعتمد على الواقع المحسوس وتدل على اليقين من أقرب الطرق وتتصف بالسهولة واليسر والبساطة ومتوافقة مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها .ولها دور كبير في التنمية الفكرية للعقول البشرية .

٦- ذكر نماذج لدور الأدلة القرآنية في التنمية الفكرية للعقل الإنساني حيث هدم القرآن الأفكار الباطلة مثل فكرة أن رأي الأكثرية على صواب فبين أن الكثرة أو القلة ليست مقياساً للخطأ أو الصواب وإنما الخطأ والصواب لأي فكرة يرجع إلى الفكرة في حد ذاتها بغض النظر عن القائلين بها أو عددهم كذلك فكرة التأثر بالآباء والأجداد وتقليدهم تقليداً أعمى دون وعي .ودور القرآن في تخليص العقل الإنساني من هذه الأفكار الباطلة .

٧- اشتمل القرآن على القواعد العقلية حيث أشار إلى أساليب الاستدلال العقلي في كثير من آياته

المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم**

١- أضواء على المنهج النقدي / لابن رشد د/ محمود مزروعة / دار الطباعة المحمدية / مصر / طبعة أولى عام ١٩٧٨م

٢ -الأعمال الكاملة / جمال الدين الأفغاني / تحقيق د/ محمد عمارة / طبعة أولى/ القاهرة عام /١٩٦٨م

٣- إلجام العوام عن علم الكلام / الإمام أبو حامد الغزالي / دار الفكر اللبناني /لبنان/ طبعة أولى /عام ١٩٩٣م

٤- درء تعارض العقل والنقل / أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول للإمام ابن تيمية / تحقيق د/ محمد رشاد سالم / دار الكنوز الأدبية عام ١٩٧٩م

٥- الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير العقيدة الإسلامية د/ عبد الكريم عبيدات / دار النفائس / طبعة أولى/ عام ٢٠٠٠م

٦- الرد على المنطقيين / الإمام ابن تيمية / مطبعة معارف لاهور / باكستان طبعة ثانية / ١٩٧٩م

٧- رسالة التوحيد / للشيخ الإمام محمد عبده / تعليق الشيخ محمد رشيد رضا / دار المنار / مصر/ الطبعة الثانية عشر /عام ١٣٦٦هـ

٨- العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث د/ سعد الدين صالح / دار الصفا / مصر / طبعة ثانية /١٩٩٢م

٩- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال / لابن رشد تحقيق د/ محمد عمارة / دار المعارف / مصر / طبعة ثانية / ١٩٨٣ م

١٠-في العقيدة الإسلامية بين الفلاسفة والمعتزلة د/ محمود خفاجي /دار الأمانة / مصر / طبعة أولى ١٩٧٩ م

١١-الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة / لابن رشد / تحقيق د / محمود قاسم / مكتبة الأنجلو المصرية / مصر / عام ١٩٥٥م
١٢-مذهب الغزالي في العقل والتقليد د/ محمود قاسم / جامعة أم درمان الإسلامية / محاضرة ألقيت بنادي الخريجين بالخرطوم في مساء السبت ٢ ذو القعدة ١٣٨٦هـ ١١ فبراير ١٩٦٧م / محاضرات الموسم الثقافي للعام الجامعي ١٩٦٦/١٩٦٧/ مطبعة مخيمر
١٣-مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي د/ عبد الرحمن بن زيد الزنيدي مكتبة المؤيد/ السعودية / طبعة أولى / ١٩٩٢م
١٤-من العقيدة إلى الثورة المجلد الأول (المقدمات النظرية) المجلد الثالث (العدل) د/ حسن حنفي/ مكتبة مدبولي/ مصر/ ١٩٨٨م
١٥-منهج السلف بين العقل والتقليد د/ محمد السيد الجليند / مكتبة العمرانية/ مصر /١٩٩٤م
١٦-مهذب شرح العقيدة الطحاوية /لابن أبي العز الدمشقي /دار ابن رجب / طبعة أولى /١٤١٣هـ
١٧-الموافقات في أصول الشريعة / الإمام الشاطبي / دار المعرفة/ بيروت/ بدون تاريخ
١٨-النبأ العظيم /محمد عبد الله دراز / دار القلم / مصر / طبعة ثانية /١٣٩٠هـ